جريدة السياسة الكويتية ٢٧ أيار ٢٠٠٥

تحدث لـ«السياسة» عن علاقة الإنسان بالألوان علمياً

جوزف مجدلاني الخبير في علوم «الإيزوتيريك»: الأبيض ليس لوناً والأسود هو انعدام الألوان!

بيروت - ليندا عثمان:

■ يعيش الإنسان في عالم محاط بالألوان، هذا اللون يجذبه وذاك ينفر منه، هذا يسبب له إضطراباً نفسياً وذاك يهدئه، الأمر الذي يطرح إشكالية الألوان وتأثيراتها وعلاقتها بالإنسان كائناً بشرياً مطلقاً، هل إن اللون بحد ذاته هو مصدر توتر أو أن جهازنا العصبي يتفاعل معه وفق معطيات خاصة فينتج عن ذلك سكون أو اضطراب.

الأخضر يهدئ الأعصاب. الأحمر لون الجرأة البنفسجي يعطي شعوراً بالكبرياء. الأبيض يعبر عن نقاوة الفكر وطهارة النفس الأصفر يعد بالسعادة الدائمة.. هل يمكن اعتماد الألوان علاجاً لبعض الحالات النفسية والعصبية؟ كيف يترجم اللون في الدماغ؟ أين مركز الألوان في الدماغ؟ ماذا عن تاريخ الألوان وقوة الإرادة، ومعاني الألوان ورموزها.. كل هذه التساؤلات لم تزل موضع جدل بين الباحثين إضافة إلى نقاشات ودراسات عديدة تقاربت حيناً وتضاربت أحياناً.

وحده الإيزوتيريك تناول في جملة ما تناوله الألوان كعلم. ووحده الدكتور جوزف مجدلاني صاحب 24 كتاباً في علوم «الإيزوتيريك» المتنوعة يرد على هذه الأسئلة في حوار مطول معه أجرته "السياسة" بداية عن تاريخ الألوان. حيث قال:

حب بالفطرة

إن الألوان تصبغ الحياة وتوشي الوجود الإنساني منذ ما دب الإنسان على الأرض، ينظر إليها وكأنه أمام ساحر تبهره أعماله يجذبه تدرج الألوان في ظلالها وتنوعها، ويسحره بريقها في صفائها وشفافيتها...

فالإنسان يحب الألوان بالفطرة يمتع نظره بها يعشق مزاجها ويهوى خلق الألوان الجديدة بشوق، وهو يلجأ إلى الألوان أحياناً طلباً للراحة والهدوء وعندما نتحدث عن الألوان نقصد "الذبذبية" اللونية أو الذرات التي تكون كل لون. وليس مجرد ألوان مادية محضة. لذلك كلما أتينا على ذكر لون ما في سياق الموضوع، فإننا نعني به الصفة الخاصة التي يتميز بها ذلك اللون، التي تكمن ضمن الأشعة التي يمثلها اللون أصلاً، والتي ترمز إليها ذبذبات اللون. ومين نذكر أن الألوان تظهر في الجسم الأثيري مكون من بضعة ألوان وحسب بل أن ألوان الأجسام الباطنية الأخرى تظهر عبره، أو تنعكس على شاشة هذه الهالة الأثيرية التكوين، وبتعبير آخر، حين نتحدث عن اللون، إنما نرمي إلى الذبذبات التي يجسدها ذلك اللون، علماً أن تلك الذبذبات تمثل صفات أو خصائص ميزات أو مشاعر، أفكاراً أو مستويات وعي إلخ... والواقع يثبت أن الألوان وجدت منذ بدء الخليقة، لكن الإنسان لم يع وجودها الفعلي إلا في "العصر الثالث من عمر الأرض" إستناداً إلى مصادر العلوم الباطنية في تاريخ الأرض. فهذه العلوم تخبرنا أن مجموع العصور الأرضية سبعة، وكل عصر يقسم إلى سبع حقب زمنية تستمر كل حقبة مئات الألوان من السنين.

بدأت الألوان تتسلل إلى حياة الإنسان العملية تدريجاً، وظهرت بادئ ذي بدء في ممارسة الطقوس الدينية لا سيما وأن المرشدين كشفوا له قدسية الأشعة اللونية السبعة. وأدخل الإنسان القديم الألوان في طقوسه وعباداته، فظهرت الألوان الأحمر القرمزي والأصفر الفاتح، والأزرق السماوي، ثم إستعملت تلك الألوان في طلاء جدران المعابد، والهياكل المقدسة، وصار لكل لون رمز ومرتبة.. حتى أنهم باتوا يتعارفون إلى مراتب رؤوسائهم وكهنتهم، وإلى معتقدات بعضهم البعض، من خلال الألوان كما ظهرت في الهياكل وأماكن العبادة، ثم إنتقل استعمال الألوان إلى الحياة المعيشية، فاستخدمت في طلاء الملابس والمفروشات وصار لون لغة يرمز إلى صفة أو معنى معين، فالأحمر الصارخ كان يعني القتال والأصفر الداكن الحقد، بينما الأخضر كان مثال السلام والأزرق الصفاء والمودة.

وأدخل المصريون القدماء الألوان إلى معابدهم وقصورهم ووشحوا بها جدرانهم... كما أدخلها الإغريق إلى معابدهم وهياكلهم وطلوا بها رسومهم الهندسية. أما في بلاد ما بين النهرين فصنفت الألوان صنفين، أحدهما ترتديه الأسرة المالكة وتزخرف به قصورها ومقتنياها والآخر لعامة الشعب في موضوع تاريخ الألوان هناك، صفحات وصفحات تحدث عن ذلك لا يتسع المكان لذكرها، لكن أشير هنا بأن إنسان اليوم بالكاد يعرف شيئاً عن لغز وجوده كإنسان وعن حقيقة كيانه ومكوناته. ومن ضمن ما يجهله علم الألوان بأبعاده الباطنية وحقائقه الوجودية... وحيث أن العصر المقبل هو عصر علوم باطن الإنسان وطوايا وخفايا الذات. ومن هنا بات لزاماً كشف سر الألوان لأن هذا العلم غاية بحد ذاته. وهو محطة على درب معرفة الذات.

اللون النوراني

● لعل أكثر ما يجذب المرء ويستحوذ على اهتمامه هو الرغبة في معرفة معاني الألوان ورموزها، ميزاتها والخصائص التي تمثلها؟

■ الألوان هي ذبذبات الوعي كما تشرح ذلك علوم الإيزوتيريك، إذ أن اللون في عرف الإيزوتيريك، لا يدل على حاجات أو أشياء مادية ملموسة، بل هو يرمز إلى مستوى وعي أو إلى ميزة معينة. وموجز القول المقصود بكلمة لون في العرف الباطني هو تلك الذبذبة التي تحمل اللون أصلاً، أي معنى اللون، وهذه الذبذبة ليست مرئية إلا لمن تفتح لديه البصر الباطني، أو "العين الثالثة" ليستكشف الذبذبات وألوانها على طبيعتها.. ولكل لون رمز لأنه يجسد وجوداً معيناً، فالنور الإلهي، النور الحقيقي الصافي الخالص، هو رمز وجود الإله الواحد، الذي بث الحياة في رحم الوجود وخلق الكون، إذ أنه أي النور الإلهي موجد الأشعة اللونية جمعاء، وفي سرد لرموز الأشعة اللونية الأصيلة نرى أن:

الشعاع النوراني الأحمر (الأرجواني) رمز الإرادة الإلهية الخلاقة الموجدة، رمز القوة المنظمة والموجهة، ورمز العظمة والرفقة والجلال الأحمر القرمزي لون قوة الإرادة، الأحمر الرقيق يدل على الحب، الأحمر الناري يرمز إلى الشهوة، الجنسية، الأزرق الشفاف رمز المحبة العطاء ونكران الذات.

الأصفر الشفاف يرمز إلى قوة الفكر والمخيلة، الأحمر القاني يرمز إلى الشخص الذي يطغى عليه حب الماديات والأرضيات، البرتقالي رمز الحيوية والنشاط.. الأخضر رمز الهدوء، والسلام والسكينة الباطنية، وهو أيضاً رمز الحياة النابضة في الكيان. النيلي يمثل السمو والصفاء والنقاء والتألق والمقام الجليل لأنه يجمع صفات الألوان الإنسانية الثلاثة فهو يمثل الحكمة أيضاً. الأحمر الصارخ يرمز إلى العنف والعدائية والملذات الدنيوية، الأزرق الداكن يعني التصلب والتعصب في الفكر والمعتقد.

■ جوزف مجدلاني ■

ويعني أيضاً الأنانية وإيثار المنفعة الشخصية والبغض والكآبة. الأصفر الداكن يشير إلى الحقد والحسد والكره، وكذلك إلى التشويش الفكري والإضطراب العقلي، وأيضاً إلى الإرهاق والقلق. الأخضر الضارب إلى الإصفرار أو البني يدل على غياب الراحة النفسية والإطمئنان الأنانية الخوف التردد والكبت النفسي. البرتقالي الضارب إلى البني رمز الجشع المادي، رغبة التسلط الإضطراب النفسي والحرمان العاطفي أيضاً. النيلي الداكن المائل إلى الإسود يرمز إلى الحزن، مشاعر القلق، عدم الصدق والصراحة، العجرفة والفظاظة. البنفسجي القاتم أو الضارب إلى الحمرة، يعني الإنزواء والأنفة والغرور والمكابرة وانعدام الليباقة. البني يعني الشك والإضطراب والخوف. اللون الترابي هو صفة التردد والخجل والوقوف على الحياد وكلما دكن هذا اللون دل على التلكؤ، والجمود والتقهقر.

ليسا من القائمة

لفضي الضارب إلى الزرقة يمثل الرغبة في الإستطلاع، الإستكشاف، حب المغامرات والتعرف إلى كل جديد، هذا اللون هو رمز عالم المادة والشكل. الرمادي الداكن يشير إلى الضجر والفراغ والرتابة وعدم التفاعل مع المحيط الخارجي وأيضاً الفضول لإشباع رغبة ما أو نزوة. البنفسجي الضارب إلى الزهري، هو لون البحث في خفايا النفس والتعمق في دراسة الذات، أما إذا "دكن" هذا اللون ومال إلى الحمرة فيرمز إلى الغرور وإيثار النفس والأنانية. والزهري يرمز إلى الهدوء والطيبة والبراءة والمودة الصادقة والحب المنزه عن أي مأرب شخصي، لكنه إذا مال إلى الأحمر الناري أشار إلى أنه بدأ يختلط بالرغبة الجنسية أو أن هذه الرغبة بدأت تطغى على صاحبه.

وهناك ألوان أخرى تعتبر تدرجات مختلفة تندرج تحت قائمة الألوان الآنفة وكلما شف اللون سمت صفاته والعكس صحيح. من هذا المنطلق يمكن التشخيص بواسطة اللون، أما اللون الأسود فهو ليس لوناً بل إنعدام الألوان. فيما اللون الأبيض هو إمتزاج كل الألوان في سرعة كبيرة، وليس لوناً بحد ذاته، لذلك لا يندرج هذان اللونان تحت قائمة الألوان.

● أين هي مراكز الألوان في الكيان البشري، أين تظهر؟

■ تظهر الألوان في الأجسام الباطنية، لا سيما في الجسم الأثيري، أي الهالة المحيطة بالجسد المادي. أما الأماكن التي تظهر هذه الألوان بكثافة أو مراكز تجمع الألوان، فهي الغدد الروحية - المعروفة- بـ"شاكرات"، مفردها "شاكراً"، الكائنة في الجسم الأثيري إذ أن كل غدة روحية تمثل مركز تغذية خاصاً بكل جسم باطني تزوده بالطاقة والحياة والحيوية، لذلك فإن الجسد المادي يستمد إستمراريته من تلك الذبذبات الأثيرية التي تتوارد إلى الغدد الروحية وتغذي الأجسام الباطنية. إذن الغدد الروحية هي مراكز تجمع الألوان في الكيان ومن أمتلك مقدرة لرؤية الباطنية، أو تفتحت لديه "العين الثالثة" إستطاع رؤية هذه الغدد الروحية بألوانها الخلابة، وتمتع بمشاهدة التموجات اللونية الخاصة بالأجسام الباطنية، والتي تظهرها الهالة بشكل واضح... ويختلف ظهور الألوان في الأجسام الباطنية تبعاً لدرجة التطور الباطني الذي يحرزه كل شخص. لكن هذا لا يعني أن الألوان نفسها في الأجسام الباطنية تبقى ثابتة في مكانها، أو دون تغيير بل على العكس، لأن الحالات النفسية والفكرية، كذلك الصحية والجسدية التي يخضع لها المرء.. تؤثر تأثيراً مباشراً في نظام تلك الألوان. وفي مقدار شفافيتها أو كثافتها، وأيضاً في تذبذبها وفي سرعة تغيرها.

غذاء للباطن

● ما وسائل الإفادة من الألوان؟

■ مثلما الطعام غذاء للجسد كذلك الألوان غذاء الكيان الباطني في الإنسان. وها هو الطب النفسي المعاصر على غرار بعض كهنة الماضي المغاير، والأطباء القدامى، يلجأ إلى العلاج بواسطة الألوان في بعض الحالات المرضية، فإن كانت الألوان تتمتع بهذه القدرة الشفائية وبصفات ذاتية معنوية، فلم لا تفيد منها طالما أنها هبة الطبيعة لراحتنا. فاللون عادة ووفقاً لعلم النفس يساعد المرء عن طريق تأثيره في نفسه، لكنه لا يستطيع وحده تحقيق المراد، أي شفاء المريض. فهو ليس دواء ناجعاً بحد ذاته، بل إن لا منفعة ترجى منه إن لم يساهم المريض بنفسه في عملية الشفاء، أو إن لم يجهد المرء بنفسه، لإكتساب الصفات المعنوية، والتخلص عملياً وحياتياً من المشاعر المكبوتة. والعوامل النفسية الضارة، وحتى الأفكار السلبية التي تشوب شخصيته وكيانه ككل.

فعلم النفس بدأ مؤخراً يولي تأثير الألوان في نفسية الإنسان، لا سيما تلك الألوان التي تظهر في الأحلام، يوليها أهمية بالغة... كما أنه يحاول فهم شخصية الإنسان وحالته النفسية من خلال الألوان التي يبصرها في أحلامه.

● ما مدى تأثير الألوان في تصرفات الإنسان؟

■ من خلال ما تقدم نوضح أن الألوان هي تجسيد ذبذبات تتفاعل مع بعضها البعض، وهذا التفاعل يحصل بين العالم الخارجي المحيط بالإنسان والعالم الداخلي الكامن ضمنه. على سبيل المثال إذا تعرض البصر لرؤية اللون الأخضر رمز الهدوء والإنسجام، فإن ذبذبات اللون الأخضر الكامنة في هالته وفي أجسامه الباطنية تتلقى هذه الإشارة الخارجية التي بثتها ذبذبات اللون الأخضر في المحيط الخارجي ويتفاعل معها بما يشبه تموجات مغناطيسية كهربائية، بمعنى أن نوعاً من الإتصال غير المنظور ينشأ ما بين الخارج والداخل، مما يجعل الأجسام الباطنية تتلقى خصائص اللون الأخضر الداخلي، بهذا تكتسب الأجسام الباطنية أي أجهزة الوعي الخفية مزيداً من ذبذبات الهدوء والإنسجام التي تساعدها على التصدي لأية حالة عصبية قد تتعرض لها. فهذه ليست سوى حصيلة فقدان المناعة الداخلية، أي عنصر المقاومة الذاتية. وكلما قوي عنصر المقاومة الداخلية، فإن أي عامل سلبي سيفشل في إختراق الكيان والأمر صحيح بالنسبة إلى بقية الألوان لمعالجة الحالات النفسية الأخرى. بذلك تتحسن تصرفات الإنسان مع نفسه والآخرين، ويرتقي إلى مسار التطور الذاتي.

وسيلة شفاء

● يقال بأن الشفاء بالألوان استعمل كوسيلة ناجعة بدءاً من الحضارات القديمة؟

■ أجل أول من إستعمل الشفاء بالألوان في الحضارات القديمة، كان كهنة بلاد ما بين النهرين ثم كهنة مصر الفرعونية وبلاد الإغريق. وكان التطبيب على نطاق عام. لما للذبذبات اللونية من تأثير مغناطيسي في الجسد، عن طريق المكونات الخفية في الإنسان. فكانوا يستعملون على سبيل المثال اللون القرمزي لتقوية الإرادة وإزالة التردد والخوف من النفس.. واللون البرتقالي لشفاء الأمراض العضوية. واللون الأخضر لمعالجة الأمراض النفسية... واللون الزهري لإراحة الأعصاب وتهدئة مشاعر الغضب. واللون الأزرق لتنشيط الجسم والأصفر لتقوية الذاكرة والفكر. واللون البنفسجي لطرد الأرواح الشريرة، إلى ما هنالك من ألوان وصفات. والجدير ذكره أن علم النفس الحديث بدأ يتنبه إلى تأثير الألوان في النفس البشرية، ويلقي الضوء على بعض خصائص الألوان وما تفعله من تأثير مباشر أو غير مباشر في حالة الإنسان النفسية، غير أن علم النفس ما زال يفتقر إلى معرفة ذلك البعد الباطني في الإنسان، فهو لا يفسر حقيقة أو سبب كينونة تلك التأثيرات أو الصفات والميزات الكامنة فيه. لقد أوضح علم النفس جزءاً من العلاقة القائمة بين اللون والروح البشرية، لكنه لم يتطرق إلى تأثير الألوان في كيان الإنسان ككل. ولم يشرح العلاقة بين اللون ومعناه أو بينه وبين مكونات الإنسان الخفية (أجسامه الباطنية) ولعل هذا ما دعا إليه رائد التحليل النفسي الحديث "كارل يونغ" (والذي كان أحد طلاب الإيزوتيريك) إلى القول بأن علم النفس الغربي ما زال طفلاً بالنسبة إلى علم النفس الشرقي. وهذا ما اعتمده الأطباء المعاصرون في طلاء جدران عياداتهم كما يلاحظ عند زيارتهم بالألوان الفاتحة.

للراحة والشفاء

الألوان تساعد عل الراحة، وفي الراحة الشفاء، كذلك تساعد الألوان على تخفيف بعض الحالات العصبية وإراحة النفس واكتساب صفات وميزات جديدة. وهنا أشدد على القول بأنها تساعد ولا تضمن الشفاء أو الراحة، والسبب أنها أضعف من إرادة الإنسان ومقدرته الذاتية، ومن الغباء الإعتقاد أن من شاء إكتساب ذبذبات المثلية مثلاً أو صفة المحبة وجب عليه أن يرتدي كل يوم ثوباً أو قميصاً أزرق اللون، كما يدعي المتحذلقون. فذلك سيعرضه للسخرية ولن يفيده في شيء.